

نوعية المقاييس في نقد الأسلوب :

لم تعرف العلوم الانسانية تغيرا مطردا إلى حدّ عدم الاستقرار ولو مدّة زمنية ما مثلما عرف النّقد الأدبيّ ، والسّبب الجوهريّ في ذلك أنّه قد كان دوما نقطة تقاطع التّيارات الفكرية المختلفة ولا نكاد نعثر في تاريخ الانسانية الحديث على تيار فكريّ - فلسفيّ إلا وجدناه أثر تيارا نقديّا أروضخ الأدب في مفهومه وتقييم إنتاجه إلى منهجيّته ، إلا أن كل ما عرفه الأدب من تيّارات نقدية يشترك في خاصيّة أساسيّة هي أنها منهجيّات تعتمد مقدمات مبدئية تكون بمثابة المقاييس الماقبلية ، وهذه الظاهرة المشتركة هي التي طبعت النقد الأدبيّ عموما بصبغة النّسبيّة سواء في التّحليل أم في التّقييم .

غير أنّنا نشهد اليوم ظاهرة حديثة ما انفكت تنحو بالنّقد الأدبيّ منحى مغايرا في مقاييسه ومناهجه لما عرفه في تاريخه الطويل ، وتتمثل هذه الظاهرة في محاولة حمل النّقد الأدبيّ على تبني جملة من المعايير الموضوعية يتخلّص بممارستها من كلّ الأحكام النّسبيّة - أخلاقيّة كانت أم ارتسامية أم ماورائيّة ... - فيدرك عندئذ منزلة المناهج العلميّة . أما المعين الذي تستقي منه هذه المقاييس فهو علم اللغة الحديث بما تمخّض عنه من تشريح موضوعيّ للظاهرة اللغويّة أولا ، وبما وضعه من منهجية حديثة في التّحليل والاستخلاص ثانيا .

فالظاهرة التي نشهد اليوم نموّها - إن لم نقل مولدها التّدرجيّ - هي حصيلة امتزاج تكامليّ بل هي حصيلة تفاعل عضويّ